

الكشاف

" وما اختلفتم فيه من شيء " حكاية قول رسول الله ﷺ للمؤمنين . أي : ما خالفكم فيه الكفار من أهل الكتاب والمشركين فاختلغتم أنتم وهم فيه من أمر من أمور الدين فحكم ذلك المختلف فيه مفوض إلى الله تعالى وهو إثابة المحقين فيه من المؤمنين ومعاقبة المبطلين " ذلكم " الحاكم بينكم هو " ربي عليه توكلت " في رد كيد أعداء الدين وإليه " أرجع في كفاية شرهم . وقيل : وما اختلفتم فيه وتنازعتم من شيء من الخصومات فتحاكموا فيه إلى رسول الله ﷺ ولا تؤثروا على حكومته حكومة غيره كقوله تعالى : " فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله ﷻ والرسول " النساء : 59 ، وقيل : وما اختلفتم فيه من تأويل آية واشتبه عليكم فارجعوا في بيانه إلى المحكم من كتاب الله ﷻ والظاهر من سنة رسول الله ﷺ : وما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التي لا تتصل بتكليفكم ولا طريق لكم إلى علمه فقولوا : الله أعلم كمعرفة الروح . قال الله ﷻ تعالى : " ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي " الإسراء : 85 ، : فإن قلت : هل يجوز حمله على اختلاف المجتهدين في أحكام الشريعة . قلت : لا لأن الاجتهاد يجوز بحضرة رسول الله ﷺ .

" فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذروكم فيه ليس كمثل شيء وهو السميع البصير " .

" فاطر السموات " قرئ بالرفع والجر فالرفع على أنه أحد أخبار ذلكم . أو خبر مبتدأ محذوف والجر على : فحكمه إلى الله ﷻ فاطر السموات و " ذلكم " إلى " أنيب " اعتراض بين الصفة والموصوف " جعل لكم " خلق لكم " من أنفسكم أزواجا " من جنسكم من الناس " أزواجا ومن الأنعام أزواجا " أي : وخلق من الأنعام أزواجا . ومعناه : وخلق للأنعام أيضا من أنفسها أزواجا " يذروكم " يكثركم يقال : ذرأ الله ﷻ الخلق : بثهم وكثرهم . والذر والذرو والذرة : أخوات " فيه " في هذا التدبير وهو أن جعل للناس والأنعام أزواجا حتى كان بين ذكورهم وإناثهم التوالد والتناسل . والضمير في " يذروكم " يرجع إلى المخاطبين والأنعام مغلبا فيه المخاطبون العقلاء على الغيب مما لا يعقل وهي عن الأحكام ذات العلتين فإن قلت : ما معنى يذروكم في هذا التدبير ؟ وهلا قيل : يذروكم به قلت : جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للث والتكثير ألا ترك تقول : للحيوان في خلق الأزواج تكثير كما قال تعالى : " ولكم في القصاص حياة " البقرة : 179 ، قالوا : مثلك لا يبخل فنفوا البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن ذاته قصدوا المبالغة في ذلك فسلكوا به طريق الكناية لأنهم إذا نفوه عن مسده وعمن هو على أخص أوصافه فقد نفوه عنه . ونظيره قولك للعربي : العرب لا تخفر

الذمم كان أبلغ من قولك : أنت لا تخفر . ومنه قولهم : قد أيفعت لداته وبلغت أترابه يريدون : إيفاعه وبلوغه . وفي حديث رقيقة بنت صيفي في سقيا عبد المطلب : ألا وفيهم الطيب الطاهر لداته والقصد إلى طهارته وطيبه فإذا علم أنه من باب الكناية لم يقع فرق بين قوله : ليس كما شيء وبين قوله : " ليس كمثله شيء " إلا ما تعطيه الكناية من فائدتها وكأنهما عبارتان معتقتان على معنى واحد : وهو نفي المماثلة عن ذاته ونحوه قوله D : " بل يداه مبسوطتان " المائة : 64 ، فإن معناه : بل هو جواد من غير تصور يد ولا بسط لها : لأنها وقعت عبارة عن الجود لا يقصدون شيئا آخر حتى إنهم استعملوها فيمن لا يد له فكذاك ستعمل هذا فيمن له مثل ومن لا مثل له ولك أن تزعم أن كلمة التشبيه كررت للتأكيد كما كررها من قال : .

وصاليات ككما يؤثفين .

ومن قال : .

فأصبحت مثل كعصف مأكول .

" له مقاليد السموات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه بكل شيء عليم " .
وقرئ ويقدر " إنه بكل شيء عليم " فإذا علم أن الغنى خير للعبد أغناه وإلا أفقره .
" شرع لكم من الدين ما وصي به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب "